مجلة
الجليس اللطيف

السنة الثانية | العدد الخامس | ٥ نوفمبر ١٩٠٩

شجاعة الحياة

يستولي القنوط على الافراد كما يستولي على الجماعة لانك ترى آثار ذلك الداء مرتسمة على محيا الوالدين والاولاد وظاهرة على ملابسهم التي يلبسونها . وفي بيوتهم واكواخهم الحقيرة التي يسكنون فيها . وفي الاراضي المقفرة المجاورة لهم

فالأُم تقول « قد احتجب ضوء الشمس عن حياتي . أصبحت ايامي مملوءة حزنا وكآبة ولياليّ آلاماً وسقماً . فقدت اعز أحبائي وامسيت وحيدة لا اجد معيناً . لا مأرب لي في المستقبل لان طريقي اصبح وعراً يكتنفه الظلام الحالك من كل صوب »

والاب يقول « خابت آمالي . حياتي كلها سلسلة متاعب . ارى نفسي هابطاً من العلا الى الحضيض . هجرتني اصحابي واصبحت لا اتطلع الى شيء في العالم سوى الموت »

والاولاد يقولون « ما الفائدة من طلب المعالي ومسابقة من هم حولنا.

لاننا اذا نظرنا الى والدينا والى بيتنا لم نكن شيئاً مذكوراً ولن نكن . فما فائدة السعي اذاً ؟

أغلب العائلات يستولي عليها القنوط وخور العزيمة وقلما توجد عائلة لا يعتريها ضعف الارادة والفشل ولو حيناً من الزمن . ومن الاطلاع على افكار العائلة يمكن الوقوف على حالتها ومقدار يأسها او املها فالاختبار مسبار تجس به نبضها

اعرف رب عائلة يصادفه الجوع كل يوم وفي كل ادوار حياته لم تمض عليه ٢٤ ساعة بدون احتياج وهو عامل خامل في صناعته ذات عائلة جسيمة منها ابنة تقوم مقام عدة طهاة اذا وجدت ما تطبخه . وهي ذات صبر وجلد واخلاص . تبتسم في وسط الشقاء والبؤس وغالباً تراها تغني أناشيد مختلفة يدفعها اليها عظيم امانيها المستقبلة الكامنة في صدرها المفعم بالسرور والهمة . ثم أم عجوز احدودب ظهرها وتشوهت سحنتها ونحل جسمها حتى يخال للرائي انها شبح او خيال وهي تخيط بيدها المرتجفة التي تسميها «باليد الصالحة» وبالكاد تقدر ان تمسك الإبرة بها ورغماً عن كثرة آلامها الجسدية فهي لا تظهر اقل يأس او ضجر من حالتها هذه

واولاد يعللون انفسهم بالآمال معتقدون انهم سيرزقون طعاماً جيداً وثياباً مدفئة تدرأ عنهم آلام الجوع والبرد القارس

والاب يعتقد انه سيرزق بعمل يجني من ورائه ربحاً يعاونه على الحياة في هذا المعترك . كما ان الابنة تعتقد بتحسين حالهم رويداً رويداً وبلوغ الأرب في ساعة من عند ربهم وهم لا يشعرون . وكذلك الام العجوز فانها

صابرة على احتمال الشدائد قانعة بما قسمه لها الله تعمل بكل ما في وسعها ما دامت على قيد الحياة . وهذا هو الفرض الشريف الذي فرضته الطبيعة على كل انسان

نعم وجودنا في هذا العالم هو لقصد سامي يجب علينا اتمامه بقوة وشجاعة لا تعرفان الملل . وحيث لا مناص من وقوع الآلام والشدائد وجب علينا احتمالها والانتصار عليها حتى نتصف على الاقل بالشجاعة التي تتصف بها الحيوانات والطيور

يوجد عامل بأحد الفنارات الداخلة في البحر كان يربي كثيراً من الحمام واذ مرضت زوجته يوماً ما اخذ حمامة وربط في ساقها ورقة يستدعي بها الطبيب واطلقها في الفضاء وبعد ان غابت زمناً قطعت فيه ٢١ ميلاً عادت اليه من مأموريتها وسقطت مائتة . وبالكشف عليها اتضح انها أُصيبت بسبع طلقات من احد الصيادين الطائشين بينما كانت مسرعة في الاياب . فكم من رجال ونساء يتولى عليهم اليأس والقنوط حتى اذا مُسَّ احدهم أذًى كفَّ عن الجهاد في سبيل الحياة العزيزة التي وهبنا اياها الباري

ومن احسن ما يروى من القصص المؤثرة في النفوس الحية شجاعة ام « دوايت موري » التي أظهرتها بعد ممات زوجها اذ طلب منها توزيع اولادها على أقاربها لأعالتهم نظراً لما كانت عليه من الفاقة وقتئذٍ فبدا على وجهها الغضب وزمجرت كالأسد وجاوبتهم بكل عظمة وانفة « انني خلقت في هذا العالم لأُجاهد الجهاد الحسن في سبيل الحياة وانني واثقة بانني

سأتغلب على جيوش الفقر والحاجة حتى اظفر بنعمة الاستقلال »

ان ضمير كل انسان يصادق على ان الشجاعة هي أس الرجولية وان الرجولية هي كمال الصفات البشرية ومع ذلك لا يوجد الا افراد قلائل قد اتصفوا بهذه المزية

كانت سيدة تتباحث مع صديقة لها في موضوع الانتحار فسألتها عما اذا كانت فكرت فيه — وكانت صديقتها هذه تجاهد كثيراً للتخلص من الفقر والعوز — فأجابتها على الفور « لا . انني لم افكر في هذا الامر لانه ليس لي فيهِ شأن . انني سأعيش لأرى ماذا يتمّ في امري فقد وجدت في هذا العالم لغرض لم يصل ادراكي الى كشف غوامضه الآن ولا بد ان يصل اليّ ذلك فيما بعد . نعم انني في حالة يرثى لها ولكني واثقة بانها لا تستمر على ما هي عليهِ لان الظلام يكون حالكاً قبل بزوغ الفجر ولا يتسنى للانسان التكهن بمعرفة ما يخبئهُ له المستقبل من النصيب »

ان اعظم فضيلة يتدرع بها الفرد والعائلة هي « شجاعة الحياة » فيجب ان تتشبع بها الافكار وتغرس في افئدة الاطفال منذ حداثتهم . علموهم ان كل عائلة لها حياة ملكاً لها وان الله يمنح بركة لمن يسعى للمحافظة عليها . اجعلوهم يشعروا بعظم مسئولية الحياة بان يروا فيكم تلك الروح - روح الاخلاص والامل

قوّموهم لتقوى فيهم روح الارادة والعزيمة ويقووا على مصارعة اليأس والتمسك باهداب الشجاعة لانه مهما بلغ الانسان من العلم والمعرفة لا يكون قوة عاملة اذا خارت عزيمته وضعفت ارادته